وتحصل به النية على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علم المكاشفة ولم يطنب في هذا الكتاب الا في
علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فتستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي
كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة بين الدنيا والاخرة فاذا عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه
بمعرفة الله تعالى حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما
يوصله الى الله تعالى وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل
مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع
عنه كل غرور منشاه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد
للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله تعالى فلا يمكنه الخلاص
من الغرور فاذا غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله تعالى وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج
الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله تعالى والعلم بما يقربه من
الله تعالى وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وغوايله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف
من ربع العبادات اسرار العبادات وما هو مضطر اليه فياخذه باذن الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه
ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله تعالى فان المانع من الله تعالى الصفات المذمومة
التي لا بد ان توضع خلفا عن المحمودة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا
اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة
وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه
فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس
الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن
جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق
فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد
عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين
ويدعوه الى الرحمة على الخلق والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله تعالى فينظر العبد برحمته الى العبيد
فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب
واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم
ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ولا مؤنة ولا لزوم غرامة فكان مثله مثل
رجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك
ولا ينصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله

فبرئ وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدى بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية
الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد
طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل
ما يكون وفي اقرب زمان فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن
الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد
الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات
نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل
به وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد
فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات
والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه
توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب
اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل
وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت
من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد
الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار
الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه
ما وجد من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله تعالى لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين
فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في
الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه
بعد ان كان يحذر عن طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت
النفس ان يطلع عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء او ربما زاد في
الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك خدعة وزورا بل هي خدع من
النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يخدع نفسه من اطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب
ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق
ذلك عليه ولولا ان النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى
جماعة من اخوانه قد وقعوا في بير وتغطى راس البير بحجر كبير فعجزوا عن الرقي بسببه فرق
قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من راس البير وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه

Copyright © King Saud University